التأصيل الإسلامي لمادة (اجتماعيات التربية) المقررة للفرقة الرابعة بكليات التربية بالمملكة العربية السعودية

إعداد الباحثة
د . ليلى عبد الرشيد حسن عطار
أستاذ مساعد التربية الإسلامية
بكلية التربية للبنات بجدة / الأقسام الأدبية

التأصيل الإسلامي لمادة (اجتماعيات التربية) المقررة للفرقة الرابعة بكليات التربية بالمملكة العربية السعودية

إعداد
د/ ليلى عبد الرشيد حسن عطار

ملخص البحث

يتضمن بحث "التأصيل الإسلامي" لمادة "اجتماعيات التربية" المقررة للفرقة الرابعة بكليات التربية للبنات بالمملكة العربية السعودية على خمسة فصول .. هي:

الفصل الأول: وهو مدخل للدراسة وفيه : مقدمة عن التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية وأهميته في مناهجنا التعليمية، وأثر غيابه في أذهان شخصية الإنسان المسلم، ثم بينت الباحثة أهداف البحث وأهميته، ثم حددت المنهج الوصفي التحليلي المستخدم في هذا البحث، كما عرّفت بعض المصطلحات الواردة في هذا البحث، وختمت هذا الفصل بالدراسات السابقة.

الفصل الثاني: وفيه وضحت الباحثة مفهوم التأصيل وأهميته وأهدافه والحاجة إليه، وخطوات التأصيل المتبعة في هذا البحث.

الفصل الثالث: وفيه وضحت الباحثة أهم الفروق بين التصور الإسلامي والنظرة الغربية الوافدة للكون والإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق.

الفصل الرابع: وفيه قامت الباحثة بتأصيل مفردات مادة "اجتماعيات التربية" من وجهة النظر الإسلامية.

الفصل الخامس: وفيه الخاتمة والنتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

أهم التوصيات:

١) إعادة النظر في مفردات مادة "اجتماعيات التربية" لأنها لا تغرس المفاهيم الاجتماعية الإسلامية في نفوس الطالبات بشكل صحيح.

٢) استكتاب المتخصصين في علم الاجتماع التربوي الإسلامي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، لإعداد كتاباً وافياً عن بناء المجتمع الإسلامي ونظمه وقوانينه مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفكر علماء المسلمين، ثم مقارنته بالمجتمع الغربي ونظمه وقوانينه المادية الإلحادية، حتى تقف الطالبة على الفرق بين مجتمعاتنا الإسلامية والغربية.

٣) تغيير المرجعين المغايرين في لائحة الكلية، لعدم شمولهما على جميع مفردات المقرر، أو لخلو المادة العلمية من التأصيل الإسلامي والاعتماد على الفكر الغربي ومقاربه.

٤) الابتعاد عن المراجع الحديثة التي كانت في مفردات هذه المادة لبعدها عن التأصيل الإسلامي واستشهادها في بعض المفردات ببعض أفكار علماء المسلمين.

مدخل الدراسة

أولاً: المقدمة:

الحمد لله.. نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضل له .. ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمرنا باتباع كتاب ربه وهدي نبيه ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد ..

تعتبر قضية التأصيل الإسلامي لعلوم الاجتماعية بصورة عامة، والعلوم التربوية بصورة خاصة، من القضايا القديمة الحديثة التي أثارت اهتمام الباحثين المسلمين، وقد ظهرت محاولات عدة للبحث في هذا الموضوع تحت عناوين مختلفة منها أسلمة العلوم أو أسلمة المعرفة، أو التوجيه الإسلامي للعلوم، أو تأصيل العلوم تأصيلاً إسلامياً، وجميع هذه الدعوات لم تكن وليدة يوم وليلة، لأن الكثير من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية – من ذوي التبصر والنظر – قد كان لديهم منذ وقت طويل شعور واضح بالتناقض الكبير بين الأسس والمسلمات التي يقوم عليها بناء العلوم الاجتماعية الحديثة التي درسوها والتي يقومون بتدريسها من جانب، وبين التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وما يترتب على ذلك التصور من فهم للعلاقات والنظم الاجتماعية من جانب آخر.[1] وأصبح هناك شبه إجماع بينهم "أن مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ونظرياتها والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها تلك العلوم في صورتها الرائدة تتضمن كثيراً مما يتعارض أو يتناقض مع التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والمجتمع والوجود."[2]

---

[1] د. إبراهيم عبد الرحمن رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، الرياض ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ص١٩.

[2] المرجع السابق ، ص ١٩ – ٢٠.

وقد نشأ هذا الشعور من الواقع الأليم لعجز الأمة الإسلامية وتخلفها مقارناً بأحوال الدول المتقدمة صناعياً، وما خلفته تلك الفجوة الحضارية بيننا وبين غيرنا من تصدع في وجدان الأمة، ومن شعور عام بالهزيمة بالنظر للذات، والانبهار بالانتصارات العلمية والتكنولوجية الحديثة، بالنظر للآخر. كل هذا قد نتج عنه اضطرار المشتغلين بالعلوم الاجتماعية إلى التسليم بالأمر الواقع في تلك العلوم وتلقيه على مضض" (١).

ورغم اختلاف الظروف التاريخية لكل من الأمة الإسلامية والدول الغربية "فالتعليم في أوروبا كان في يدي الأمر بيد الكنيسة وتحت هيمنتها، ولم يستطع هذا التعليم الكنسي أن يحقق للإنسانية سعادتها المنشودة، ولا للعلم حريته وانطلاقه، بل وقف حجر عثرة في سبيل أي تقدم، وسجن العقل البشري وأعاق إبداعه، وقاوم البحث العلمي التجريبي، واضطهد علماءه، وساد حكم الطغاة والجبابرة والمفسدين في الأرض، واستغل الناس واستخف بعقولهم وأصدر صكوك الغفران، ونصر الباطل على الحق أينما كان، وبإيجاز شديد فشل هذا التعليم الكنسي في تخريج الإنسان المثالف الذي يفهم حقيقة دوره في الحياة، فانتقلت مسؤولية التعليم من الكنيسة إلى الحاكم، وكان ذلك بداية التعليم اللائيني والذي تبدل الفلسفة والكهان فيه بالسلطات السياسية والعسكرية والصناعية والاقتصادية ، والتي تمثل القوى المتحكمة فعلاً في التعليم المعاصر.." (٢)

وهنا يبرز لنا تساؤلاً هاماً .. إذا فشل التعليم الكنسي الديني في الدول الأوروبية ، فهل فشل التعليم الإسلامي في الدول العربية والإسلامية حتى نضطر إلى أخذ العلوم منهم بكل ما فيها!!!

إن التعليم الإسلامي في الدول العربية والإسلامية لم يفشل كما فشل التعليم الكنسي في الدول الأوروبية، لأن الأمة التي حملت الإسلام إلى البشرية لم تكن قبل اعتناقها الإسلام أمة علم، ولم تكن لها عناية كبيرة بعمارة الأرض، والإسلام هو الذي دفعها للبحث العلمي حتى صارت في يوم من الأيام هي الأمة العالمة في الأرض، التي تتلمذ عليها البشرية في العلوم، والإسلام هو الذي دفعها لاستنباط المنهج التجريبي في البحث العلمي الذي هو عماد التقدم الذي حدث في كل ميادين العلم الحديث، والإسلام كذلك هو الذي دفع المسلمين إلى المشي في مناكب الأرض وكشف مجاهلها، وعمارتها بشتى أنواع العمارة من زراعة وصناعة وتجارة وبناء مدن وإنشاء طرق وتنظيم

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أ . د. زكريا راغب النجار : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٠هـ ، ص ٩٤ -٩٥.

وسائل التصال ، فضلاً عن الخدمات الإنسانية الرفيعة من تعليم مجاني وتطبيب مجاني، وأوقاف للخير ونشر البر، وهذه الحضارة التاريخية الفذة، المتعددة الجوانب، الشاملة لكيان الإنسان كله: جسده وعقله وروحه، دنياه وآخرته، تشاطه الحسي وتشاطه العقلي وتشاطه القلبي، إتتاجه المادي وإتتاجه الروحي، لا تقول فقط إنها لمت في ظل الإسلام بلا تعارض معه ولا صراع، ولكن تقول إنها كانت نتاج الإسلام، وترجمة واقعية لروح الدافعة في هذا الدين". (٢)

ورغم ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من حضارة زاهرة، إلا أن تاريخها ليس كله صعوداً وليس كله هبوطاً على خط منحدر، إنما هو تاريخ يشتمل على نبذات صاعدة وهابطة، وفي فترة من تاريخ الأمة كانت البدع والانحرافات والترف والتفلت من التكاليف قد وصلت حداً لم تكن قد بلغته من قبل، فتكالب الأعداء عليها من كل حدب: الصليبيون والتتار والرافضة والفرق الباطنية، وكادت الأمة تهلك وتزول من التاريخ، ولذلك في نهاية العصر العباسي الثاني، فكان العلاج الذي تعالته – بفضل الله تعالى – هو العودة لهذا الدين، وعندئذ نفضت عنها ضعفها وتخلفها ونقاصها، وعادت لها حيويتها فطردت التتار والصليبيين، وعادت ممتلكة في الأرض فقصدت شوكة الأعداء (٣). ثم جاء الاستعمار الذي "حمل على نقل نماذجه التعليمية التقليدية وترويجها في البلاد التي استعمرها، وأغلب هذه النظم قد نقلت بطريقة مشوّهة، فلم يكن التعليم في ظل أي حكم استعماري يهدف إلى تكوين شعبية قادرة على خدمة وطنها، بل كان يرمي إلى تلقينها القيم السائدة في الدول المسيطرة، وإلى تكوينها لتكون في خدمة الاستعمار، حتى الدول التي أسست نظمها التعليمية بعد رحيل الاستعمار عنها، بنتها على قواعد مستوردة، متناسية في ذلك أن فلسفة التربية يجب أن تنبع من تراث الأمة وأفكارها وعقيدتها، وأن أي نظم تربوية مستوردة مصيرها أن تلفظ كما يلفظ الجسم عضواً غريب يُغرس فيه". (٤)

والسمة الغالبة على العلوم التربوية أنها مترجمة منقولة من الكتابات الغربية التي تتسم بأنها علمانية لا دينية، تؤمن بالمدرك المحسوس، و تهمل كل ما هو غيبي، وتقوم على المادية البحتة، التي تنكر الروح، وتعد الإنسان للحياة الدنيا فقط بالإضافة

---

(١) محمد قطب : حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، دار الشروق ، طبعة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، ص٤١.
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢.
(٣) مرجع سابق ، أ. د. زكريا النجار : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، ص٤٣.

إلى بعد المفاهيم كالكون والإنسان والوجود عن الله عز وجل كخالق ومهيمن ومسيطر ومشرع للكون.

كل هذا يدعونا للتساؤل --

ما الذي جلبته الأمة الإسلامية من هذا التغريب الفكري والثقافي؟

وما السبيل إلى إعادة الفكر المسلم إلى مساره الطبيعي؟!!

ثانياً: مشكلة البحث:

من المعروف أن العلوم التربوية والاجتماعية والنفسية علوم وافدة إلى مجتمعاتنا الإسلامية من مجتمعات علمانية لا دينية، "جاءت من كل مكان: عن طريق الترجمة وعن طريق اتباع الدعوات والمذاهب، وعن طريق مناهج التربية والتعليم التي قدمتها الإرساليات أساساً للجامعات والمعاهد المختلفة في العالم الإسلامي" [1]، وهذه العلوم هي التي تشكل عقلية وسلوك وخلق الإنسان المسلم مما تجعله يشعر بالاغتراب وفقدان الهوية الإسلامية، وقد أحصى أ. د. عبد الرحمن النقيب عدد الكتب التربوية الموجودة في مكتبة إحدى كليات التربية في العالم العربي والإسلامي فوجدها كالتالي: تحتوي تلك المكتبة على ٣٧٨ كتاباً تربوياً، من بينها ٨١ كتاباً مترجماً تمثل نسبة ٢١,٥% من مجموع عدد الكتب الموجودة بالمكتبة، وباقي الكتب من المفروض أنها مؤلفة، فإذا رحنا نتصفح تلك الكتب لوجدنا خلو معظمها من أي أثر إسلامي، وإذا استثنينا ٤٠ كتاباً فقط تمثل ١٠,٥% من مجموع عدد الكتب الموجودة بالمكتبة، ورد الحديث فيها عن التربية الإسلامية من منظور أيديولوجي إسلامي صحيح. لأدركنا كيف أن ٨٩,٥% من الكتب المقدمة لطلابنا في تلك الكلية النموذج لا يرد فيها على الإطلاق أي ذكر لثقافتنا الإسلامية، ولا أي إبراز لهويتنا الحضارية. [2]

وهذه الكتب على تعددها وتنوع تخصصاتها موجودة في جميع مكتبات كليات التربية، وهي الكتب المقررة للدراسة فيها، والتي يدرس عليها مدرسي ومدرسات المستقبل لأنها من صميم إعدادهم الخاص والتربوي، ومن هذه المواد مادة "الاجتماعيات التربية" وهي أحد فروع علم الاجتماع، وهو العلم الذي يهتم بدراسة النظم والظواهر والعلاقات الاجتماعية بين الناس.

---

(1) أنور الجندي : مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام. القاهرة ، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص٢٠.

(2) أ. د. عبد الرحمن النقيب : التربية الإسلامية .. رسالة ومسيرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص١١٢.

وهذا العلم قديم قدم المعرفة الإنسانية، وأصوله وجذوره موروثة من ديانات ومعتقدات مختلفة، ويكفي أن ندعم علم الاجتماع الذي نعتمد على نظرياته في جامعاتنا هو العالم اليهودي الفرنسي إميل دور كايم الذي حاول مع من رواد آراءه أمثال مساكس فيبر الألماني وفلفرد الإيطالي، أن يطمسوا فعالية الإنسان ويجعلوه عبداً لمصير مجهول.» (١)

والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع ، رغم عدم تدريسي لهذه المادة، إلا أنني كنت أرى عزوفاً من الأستاذات لتدريسها، وملالاً من الطالبات اللاتي يرين أنها مادة جامدة لا فائدة منها، وتتميز بعبارات فلسفية صعبة، غامضة غير مفهومة، وهذا الشعور دفعني لقراءة مفرداتها والاطلاع عليها من بعض المراجع المقررة، فوجدت أنها فعلاً تحتاج إلى تأصيل إسلامي، والعودة بها إلى مصادر التشريع الإسلامي وإلى خصائص المجتمع المسلم وعاداته ونظمه وأحكامه، وكيف صاغها الشرع الحنيف بطريقة مختلفة عن المجتمعات الأخرى.

وسأورد مثالين فقط على بعض العبارات التي وردت في بعض المراجع المقررة لتوضيح المقصود:

* قال د. محمود السيد سلطان في كتابه: مقدمة في التربية: «كما تستمد عملية التربية أسسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع ومن ثقافته، لأن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتولاها التربية، إنما تحقق عضوية الجيل الجديد في المجتمع عن طريق تعليمه لغة الجماعة وفكرها ونظمها وعاداتها وعرفها وقيمها ومهاراتها، فالثقافة هي الوعاء الذي تستمد منه التربية أصولها ومناهجها وأهدافها المختلفة.» (٢)

وهذا القول مخالف لتربية التي تستمد أهدافها من كتاب الله وسنة رسوله، وتسعى لتحقيق كل ما أمر به الله بوسائل تتفق وغايات الإسلام السامية، فالتربية الإسلامية تقوم على الأصول الاعتقادية والتعبدية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التي نادى بها الإسلام، وهي بهذا تخالف التربيات الأخرى التي تستمد أصولها وأهدافها من فلسفات وضعية صاغها وحدد أبعادها فلاسفة ومفكرون من أمثال أفلاطون، وأرسطو وروسو وفروبل وديوي وغيرهم كثيرون.» (٣)

---

(١) أنور الجندي ، إطار إسلامي للفكر المعاصر ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص٩٤.

(٢) د. محمود السيد سلطان: مقدمة في التربية. القاهرة ، دار المعارف، طبعة عام ١٩٩٣م ، ص٢٥.

(٣) أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون: أصول التربية الإسلامية. الرياض ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ص ١٠٨- ١٠٩.

* والمثال الثاني جاء في كتاب أسس التربية، الفصل الثالث "التربية والثقافة والتقدم الاجتماعي" عند تحديد عناصر الثقافة التي حددها التربويون الغربيين في الفصل الثالث: البدائل أو المتغيرات، عبارة قال فيها: "كما أن فكرة مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات، أو فكرة الاختلاط في بعض المجتمعات العربية والإسلامية تعتبر كذلك من العناصر البديلة لأنها تمثل في مرحلة الصراع الاجتماعي الجاد قبل أن يقرر قبولها أو رفضها فإذا تغلب جانب القبول، وتوفر جانب الرفض سُمح لها بالدخول إلى نطاق الخصوصيات، فإذا انتشرت في ثقافة المجتمع كلل تسربت إلى دائرة العموميات. "[1]

إن مثل هذا القول إنما يعبر عن مجتمع مخالف لمجتمعاتنا الإسلامية، مر بظروف وأوضاع ومعتقدات تختلف عنا، "وقد وضعت نظرياتها في ظل هذه الأوضاع، فكيف يمكن أن تطابق هذه النظريات مجتمعنا، وكيف تستطيع أن تعطيه، وهذه العقلية العربية الإسلامية التي تقوم على مفهوم الإيمان بالله ، وإرادة القدر، والالتزام الأخلاقي، والمسئولية والجزاء ، كيف تستطيع أن تتعامل مع نظريات تقوم على الجبرية، وتحاول أن تصور المجتمع بصورة الصراع، وأن تقيم التناقضات أساساً بينما تقوم المجتمعات العربية والإسلامية على التقاء العناصر و الأجزاء في كل متكامل دون صراع أو جبرية."[2]

وهناك الكثير من الاختلافات الجوهرية بين أسس بناء المجتمع الإسلامي ونظمه وعلاقاته، وبين المجتمع الغربي، وهذا ما سأوضحه في ثنايا هذه الدراسة حتى يتم "سبيل الإسلامي عن علم ومعرفة ومنهجية واضحة منطلقة من ثوابت الأمة الإسلامية وأحكامها وآدابها.

مما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة على النحو التالي:

ما التأصيل الإسلامي لمادة اجتماعيات التربية المقررة للفرقة الرابعة بكليات التربية للبنات بالمملكة العربية السعودية ، وينبثق من هذا التساؤل الأسئلة الفرعية التالية:

- ما ضرورة التأصيل الإسلامي وأهميته لحياتنا الثقافية والاجتماعية والتربوية؟
- ما هي نقطة الانطلاق لدراسة التأصيل الإسلامي؟
- ما هي القاعدة المشتركة التي تلتقي عندها جميع العلوم إسلامية أو غير إسلامية؟

---

(1) د. صالح ابو لباد هادي وآخرون: أسس التربية. عمان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص٣٨.

(2) مرجع سابق ، أنور الجندي : إطار إسلامي للفكر المعاصر. ص٩٦.

- ما هي النظرة الإسلامية للكون والمجتمع والإنسان والمعرفة والأخلاق؟
- ما هي النظرة الغربية للكون والمجتمع والإنسان والمعرفة والأخلاق؟

ثالثاً: أهداف البحث:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١- توضيح مفهوم التأصيل الإسلامي لعلم اجتماعيات التربية ومدى الحاجة إليه.
٢- توضيح كيفية التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية بصفة عامة.
٣- توضيح كيفية التأصيل الإسلامي لمادة "اجتماعيات التربية" من حيث أسسه ومنطلقاته وضوابطه من خلال التصور الإسلامي.
٤- محاولة التأصيل الإسلامي لبعض مفردات مقرر "اجتماعيات التربية" كنموذج لتأصيل باقي العلوم التربوية والاجتماعية.
٥- إحياء تراث المفكرين الاجتماعيين المسلمين والاستفادة من فكرهم في التأصيل الإسلامي لهذه العلوم كفكر ابن خلدون وغيره.
٦- اقتراح مفردات مؤصلة إسلامياً في هذه المادة مع مراجعها.

رابعاً: أهمية البحث:

تتلخص أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

١- الحاجة الماسة لتأصيل الإسلامي للعلوم التربوية بصفة عامة ولجتماعيات التربية بصفة خاصة لأهميتها وضرورتها في بناء الشخصية المؤمنة القادرة على حمل رسالة الإسلام بكفاءة واقتدار.
٢- إن واقع مقرر "اجتماعيات التربية" في كلية التربية للبنات لا يتفق مع أهداف التربية في مجتمعنا السعودي، الذي يسعى لإعداد المعلم المسلم الذي ينطلق في تصوره وتفكيره من المنطلق الإسلامي ويكون سلوكه الفردي والاجتماعي سلوكاً إسلامياً ممثلاً لقيم الإسلام ومبادئه ليكون قدوة عملية لتلاميذه.[1]
٣- إن محتويات مقرر "اجتماعيات التربية" يتضمن أفكاراً ومفاهيم واتجاهات تتخالف العديد من مسلمات العقيدة الإسلامية وتصوراتها ومنطلقاتها وثوابتها في الكون والإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق، وهذه المحتويات مخالفة للمادة [٣٩] من الوثيقة الرسمية لسياسة التعليم في المملكة الصادرة في عام ١٣٨٨هـ، والتي

---

[1] عبد الله عبد المجيد بغدادي: الخطابة التعليمية في المملكة العربية السعودية أسسها - جذورها - أولياتها، جدة، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، الجزء الأول، ص١٦٩.

نصت على: تكوين الفكر الإسلامي المتهيئ لدى الأفراد، ليصدروا عن تصور إسلامي موحد فيما يتعلق بالكون والإنسان والحياة وما يتفرع عنها من تفصيلات." (١)

٤- إن مضمون هذه المقررات يعزز التبعية للفكر الغربي الوافد، ويزيد التمزق الفكري لدى المسلم، ويحوله عن النقد والتحليل والإبداع، فينشأ أسيراً تابعاً موالياً للفكر الوافد، وهذا مخالف لما نسعى إليه مناهجنا التعليمية من بناء الشخصية الإسلامية المستقلة القادرة على البناء والعطاء مهتدية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

خامساً: حدود البحث:

(١) الحدود المكانية والموضوعية:

هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على مادة "اجتماعيات التربية" المقررة للفرقة الرابعة بكليات التربية للبنات في المملكة العربية السعودية.

وستركز هذه الدراسة على الآتي:

١) إبراز مقرر مادة "اجتماعيات التربية" والهدف منه.

٢) تحليل هذه المفردات من خلال واقع المجتمعات الغربية الوافدة منها، ثم بيان مدى قربها أو بعدها من المنهج الإسلامي وواقع مجتمعاتنا الإسلامية.

٣) تأصيل هذه المفردات من خلال الأصول الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفكر علماء المسلمين الاجتماعيين، من خلال التصور الإسلامي للكون والإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق.

(٢) الحدود الزمانية:

من المتوقع بإذن الله تعالى أن تتم هذه الدراسة ما بين عام ١٤٢٥- ١٤٢٦هـ.

سادساً: منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي، لأن المنهج الوصفي "يعتمد على دراسة ووصف الواقع أو الظاهرة كما توجد، وجمع المعلومات والبيانات عنها، ثم تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها بحيث يؤدي ذلك إلى فهم علاقات هذه الظاهرة مع غيرها من الظواهر من خلال الاستنتاجات التي تساهم في فهم الظاهرة وتطويرها والاستفادة منها." (٢)

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٢) د. ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي ومفهومه، أدواته وأساليبه. عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، طبعة عام ١٩٨٩م، ص ص ١٨٣- ١٨٨.

سابعاً : مصطلحات الدراسة :

توجد في هذه الدراسة بعض المصطلحات، التي لابد من تحديد مفاهيمها لتوجيه الفهم لدى القارئ وإزالة اللبس والغموض منها.

(١) التأصيل الإسلامي:

الأصل: "أسفل كل شيء ، وجمعه أصول ..

ويُقال استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها، ويُقال: إن النخل بأرضنا لأصيل أي هو به لا يزال ولا يفنى، ورجل أصيل: له أصل، ورأي أصيل: له أصل، ورجل أصيل الرأي وعاقل." (١)

والأصل في اللغة: "عبارة عما يُفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره.

وفي الشرع: عبارة عما يُبنى عليه غيره، ولا يُبنى هو على غيره.

و الأصل: ما يثبت حكمه بنفسه ويُبنى على غيره." (٢)

وقد عرّف الدكتور إبراهيم عبد الرحمن رجب التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بأنها: "عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصادر للمعرفة، بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي كإطار نظري لتفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الإمبريقية (الواقعية) وفي بناء النظريات في تلك العلوم بصفة عامة." (٣)

وقد عرّفه أحد الأقسام العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأن: "جعل جميع العلوم التي تدرس في العالم عامة – وفي العالم العربي والإسلامي خاصة – منطلقة ومنبثقة من أصول الإسلام ومفاهيمه العقائدية المستوثقة في القرآن الكريم والسنة والمحددة لمفاهيم: الألوهية والإنسان والكون والحياة، والعلاقة بين كل منها، ورفض إقامة العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية ومقتضياتها." (٤)

---

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، بيروت ، دار الفكر، المجلد الحادي عشر، ص١٦.

(٢) علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات (حققه وقدم له ووضع فهارسه) إبراهيم الإبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص١٥.

(٣) مرجع سابق ، أ. د. إبراهيم عبدالرحمن رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص ١١.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩.

أما اللجنة الدائمة للتأصيل في عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض فقد عرفته بقولها: "التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية هو إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم، من خلال جمعها واستنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة، ونستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لا تتعارض مع تلك الأسس." (١)

أما د.مقداد يالجن فقد عرفه بقوله: "بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام." (٢)

وبناء على ما سبق تركز جميع التعاريف على أن مفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية ينبغي أن ينطلق من التصور الإسلامي المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حتى يبني الشخصيات الإسلامية الواعية بخطورة الفكر الوافد.

وعلى ذلك فإن الباحثة ستتبنى التعريف الإجرائي التالي الذي لا يخرج عن التعاريف السابقة والذي يتناسب وموضوع هذه الدراسة.

"بناء علم اجتماعيات التربية من الأصول الإسلامية وثوابتها وأهدافها المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفكر علماء المسلمين، وبالأخص في النظرة للإنسان والكون والمجتمع والمعرفة والأخلاق."

(٢) اجتماعيات التربية :

وردت عدة تعريفات توضح معنى علم اجتماعيات التربية الذي يعد أحد فروع علم الاجتماع العام، وقد عرفه سميث بأنه "العلم الذي يستخدم نظرية علم الاجتماع وطرقه ومبادئه في دراسة قضايا التربية ونظرياتها." (٣)

وعرفه ماسفريف.ب بأن: "علم الاجتماع التربوي علم يدرس العلاقات القائمة بين التربية والمجتمع ككل." (٤)

وعرفه آخرون: "دراسة المجتمع بمؤسساته وبظواهره وعمليات وعلاقاته وثقافته وتأثيرها على العملية التربوية كظاهرة أو كعملية اجتماعية بكافة مناشطها

---

(١) اللجنة الدائمة للتأصيل في عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، في ندوة التأصيل الإسلامي المنعقد بتاريخ ١٤١٣/١٢/٣٠هـ.

(٢) أ. د. مقداد يالجن : أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون. الرياض ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ص٣٦.

(٣) أ. د. مصطفى عبد القادر عبد الله زيادة وآخرون : فصول في اجتماعيات التربية. الرياض ، ص١٧.

(٤) المرجع السابق ، ص١٧.

ومناهجها المتعددة .. وأضاف .. إذا كانت اجتماعيات التربية تهتم بدراسة العمليات الاجتماعية داخل المجال التربوي فإنها تعني أيضاً بدراسة مفاهيم المجتمع والثقافة والمراتب والأدوار الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية.. وغيرها." (٢)

كذلك عرّفه أ. د. مصطفى عبد القادر زيادة بأنه "العلم الذي يدرس العلاقات القائمة بين التربية والمجتمع، والتربية بوصفها نظاماً اجتماعياً، ويستند في ذلك إلى المفاهيم والنظريات المتضمنة في علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى." (٣)

ثامناً : الدراسات السابقة :

من خلال استقصاء الباحثة للدراسات السابقة عن موضوع هذه الدراسة، لم تجد أي دراسة[*] تناولت نفس الموضوع، وإنما كُتبت مؤلفات عدة عن المفهوم العام للتأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية من حيث بداية التفكير فيه ثم معناه وأسسه وشروطه وضوابطه ومنطلقاته من خلال التصور الإسلامي ثم مقارنته بالفكر الغربي الوافد.

وقد استفادت الباحثة من هذه المؤلفات في كتابتها لهذه الدراسة.

مفهوم التأصيل وأهميته وأهدافه والحاجة إليه وخطواته

أولاً: مفهوم التأصيل الإسلامي:

إن الخلل الذي آلت إليه الأمة الإسلامية في جميع جوانب حياتها ولاسيما الجانب التربوي والتعليمي، وما أصابه من ضعف وتخلف وتدهور وتهزامية، انعكس على تقزدها في ضعفهم وسلبيتهم وتخلفهم وفقدانهم لتهوية الإسلامية، وهذا الخلل لم يكن وليد يوم وليلة وإنما وليد ظروف مختلفة، وأسباب متعددة، وسنوات عديدة، وكرد فعل لهذه الأحوال انطلقت صيحات ونداءات إصلاحية كـ"إسلامية المعرفة" أو "أسلمة العلوم" أو "توجيه العلوم إسلامياً" أو "التأصيل الإسلامي للعلوم" .. وكل هذه النداءات تدعو إلى

(*) أ. د. صبحي حمدان أبو جلالة وآخرون: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص ١٧.

(٣) مرجع سابق ، أ. د. مصطفى عبد القادر زيدة وآخرون : فصول في اجتماعيات التربية، ص١٧.

(*) تم الاستقصاء في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – كلية العلوم الاجتماعية – قسم علم الاجتماع التربوي عن موضوع الدراسة ، فلم تجد الباحثة أي دراسة في هذا الشأن .

العودة بالمعارف والعلوم إلى أصول الشريعة الإسلامية. وتكون منطلقاتها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفكر علماء المسلمين.

وانطلقت هذه النداءات من أفراد ومؤسسات تعليمية، "فإسلامية المعرفة" أو "أسلمة المعرفة" انطلقت من المعهد العالمي للفكر الإسلامي ممثلة في الأستاذ الدكتور إسماعيل الفاروقي الذي وضح شمولية هذا المصطلح لكل ما يحتاجه الفرد والمجتمع فقال: إن"إسلامية المعرفة تعني: "معرفة تصدر عن قيم الوحي، وغايات الرسالة، وتتصل بكل صحيح وإيجابي من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور والقرون، وهي ليست قيماً وغايات فقط، وليست تأملات فردية، وليست تأريخاً وتراثاً فحسب ولكنها سبيل لتكوين عقلية علمية منهجية في وجوه العلم والمعرفة الاجتماعية والإنسانية والطبيعية والتطبيقية كافة." [1]

و قد عرف الأسلمة حامد الأنصاري بأنها: "منهجية الرجوع إلى كتاب الله تعالى و سنة نبيه محمد ﷺ من خلال إعادة نظر شاملة و فورية في جميع المناهج التعليمية في البلدان الإسلامية، بما يكفل تنقيتها من الشوائب الدخيلة عليها و تطهيرها من الأخطاء القاتلة المذكورة فيها، وأن تحل محلها الخصائص العلمية الصحيحة التي وردت في القرآن الكريم والتي جاءت في السنة النبوية المطهرة، وذلك إلغاء ازدواجية التعليم (ديني و دنيوي) وإتباع أساليب المصادر الإسلامية في تطبيق التربية الإسلامية."[2]

وعرفها د. عماد الدين خليل بأنها تعني "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان." [3]

أما د. عبد الرحمن صالح عبد الله الذي أطلق مصطلح "التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية" [4] لم يحدد تعريفاً له، وإنما بيّن أن أي تربية في أي مجتمع لابد أن ترتبط بعقيدته وفلسفته وحاجاته وأهدافه، وبسبب تعدد المجتمعات واختلاف عقائدها

---

(1) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة (المبادئ العامة، خطة العمل - الإنجازات)، واشنطن، فرجينيا، طبعة عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص ١٦٨.

(2) مرجع سابق، أ.د. محمد شحات الخطيب و آخرون: أصول التربية الإسلامية، ص ٢٠٠.

(3) أ.د. عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، هيرندن - فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٥.

(4) د. عبد الرحمن صالح عبد الله، التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٢٩.

والسفاتها التي تنبثق منها أهدافهم وتوجهاتهم، كان لابد من توجيه العلوم التربوية وتخصيصها بالإسلامية حتى تتميز بعقيدتها وقيمها وأخلاقياتها.

أما مصطلح "التأصيل الإسلامي" فقد تبنته عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعقدت له الندوات لتوضيح مفهومه ومعناه، وقد عرفته كالتالي:

١) "التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية هو إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة، وتستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لا تتعارض مع تلك الأسس." (٢)

وقد فضل أحد الأقسام العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بتعريفه بأن:

٢) جعل جميع العلوم التي تدرس في العالم عامة – وفي العالم العربي والإسلامي خاصة – منطلقة ومنبثقة من أصول الإسلام ومفاهيمه العقائدية المبثوثة في القرآن والسنة والمحددة لمفاهيم: الألوهية والإنسان والكون والحياة والعلاقة بين كل منها، ورفض إقامة العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية ومقتضياتها." (٣)

كما قامت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتعريفه على أنه:

٣) تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها في الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية، ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية في إطار العلوم الشرعية، وإنما المهم ألا تتعارض معها، ولا تتعارض عملية التأصيل بهذا المفهوم العام مع

---

(٢) اللجنة الدائمة للتأصيل بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. ندوة مفهوم التأصيل الإسلامي، تاريخ ١٤١٢/١٢/٣٠هـ.

(٣) مرجع سابق، د. إبراهيم عبد الرحمن رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية. ص٣٩.

أي تقدم علمي وتكنولوجي متهجي لا يتناقض المنهج الإسلامي على أساس أن الإسلام دعا إلى العلم وحث عليه." [1]

4) أما د . إبراهيم عبد الرحمن رجب فقد عرّف التأصيل الإسلامي بأنه "عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصادر للمعرفة بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي كإطار نظري لتفسير المُشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الإمبيريقية (الواقعية) وفي بناء النظريات في تلك العلوم بصفة عامة." [2]

أما تعريف أ. د. مقداد يالجن فهو: "بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام." [3]

ثانياً: أهمية التأصيل الإسلامي:

إن موضوع التأصيل الإسلامي ليس ترفاً علمياً، أو لفسفة فكرية، وإنما هو مشروع إجباري لإعادة بناء العلوم التربوية والاجتماعية على أسس ربانية شرعية، ومنهجية علمية أصيلة، إنقاذ الأمة الإسلامية من أزمتها الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والتعليمية، التي نتجت من التبعية المشيعة من المناهج التغريبية المتنوعة والمترجمة من مختلف الفلسفات والمذاهب الوافدة للعالم العربي والإسلامي، ومنها نشأ نظام تعليمي لا ديني يلغي القيم والمفاهيم والأساليب الغربية، وسرعان ما أخذ يفرق المجتمع الإسلامي بأجيال من الخريجين من حملة الدرجات العلمية الجاهلين تماماً بأمور دينهم وتراثهم الإسلامي." [4]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما تعرض كل ما هو إسلامي لهجمة شرسة، ابتداءً بالنصوص القرآنية، إلى الأحكام الشرعية، والسنة النبوية، وانتهاءً بالقيم والأخلاقيات الإسلامية، "وكان الهدف من وراء ذلك زعزعة ثقة المسلم بنفسه وأمته ودينه وسلفه الصالح وتشويه وعيه، وإفساد شخصيته الإسلامية، ومن ثم جعله

---

(1) المرجع السابق ، ص ٤٠.
(2) مرجع سابق ، أ. د. إبراهيم عبد الرحمن رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص٤١.
(3) مرجع سابق ، أ. د. مقداد يالجن : أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، ص٣٦.
(4) مرجع سابق ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة (المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات) ص٩٩.

مسلوب الإرادة، خاسر القوى، فاقداً لطاقة والحوافز الضرورية للمقاومة والصمود." [١]

ومن هنا نبعت أهمية التأصيل الإسلامي وضرورته الملحة، لإحداث التغيير الفكري والنفسي والاجتماعي المرغوب، والقضاء على التخلف والتدهور الموجود في الأمة الإسلامية، والوصول بها إلى التطور والتحضر المطلوب.

كذلك الذي أكتفي ودفعني للكتابة في هذا الموضوع هو أننا كمسلمين ننظر إلى العلوم الاجتماعية من منظورها الغربي الإلحادي، ويسيطر علينا وهم ضخم مشوه التمكين المادي الذي أحرزه الغرب في تاريخه الحديث، ذلك الوهم هو الظن بأن هذا التمكين لا يمكن أن ينشأ إلا عن منهج سليم للحياة! ومن ثم فكل ما يفعله الغرب صحيح وسليم ومستقيم" [٢]، ونسينا أو تناسينا نحن المسلمين "أن الظروف التي مرت بها أوروبا وأنتجت الانقسام بين العلم والدين هي ظروف خاصة بأوروبا وحدها" وليست ظروفاً عالمية، والمعايير التي أنشأتها تلك الظروف هي كذلك معايير محلية خاصة، ليس لها صفة العموم، ولا صفة التزوم، ليست معايير إنسانية كما يحلو لأوروبا أن تتصورها." [٣]

أما نحن المسلمين فظروفنا التي عشناها في ظل الإسلام ظروفاً عديدة مختلفة تماماً عن ظروف الغرب، ومعاييرنا مختلفة عنهم، وطريقة تناولنا للعلوم الاجتماعية "مختلفة عن التناول الغربي في أسسه وقواعده، وإن التقى معه في بعض الجزئيات، أو حتى في كثير من الجزئيات التي تتخذ صورة أبحاث معملية وتجريبية، ذلك أن الخلاف الجوهري ليس في إجراء التجارب المعملية ورصد نتائجها، وإنما هو في تفسير الظواهر الاجتماعية وتأصيلها، المستمد أساساً من تصورنا للكيان الإنساني، ولغاية الوجود الإنساني، وهنا يقع الخلاف، وهنا يكمن الدافع إلى ضرورة التأصيل الإسلامي لهذه العلوم." [٤]

كذلك من الأسباب التي تجعل للتأصيل الإسلامي أهمية قصوى، وضرورة حتمية ما لفت النظر إليه أ. د. مقداد يالجن من دور التربية الأخلاقية في بناء الأمة المتماسكة، والحضارة الإنسانية الخيرة وضرب مثلاً على ذلك التربية اليابانية فقال:

---

(١) المرجع السابق، ص٣.
(٢) مرجع سابق، محمد قطب: حول التأصيل للعلوم الاجتماعية، ص١٣.
(٣) المرجع السابق، ص٧.
(٤) المرجع السابق، ص٧.

"التربية الأخلاقية اليابانية تهتم بتربية النشء على ولاء للأسرة وولاء للدولة والوطن، وتربي الناشئين على التضحية من أجل سلامة الأمة اليابانية والدفاع عنها بكل ما تملك، ولهذا تجد قلة الاضطرابات الاجتماعية والثورات الجماعية أو العسكرية ضد الدولة في اليابان بالنسبة للدول الأخرى منذ زمن بعيد.

ولهذا عانت أمريكا في حربها اليابان من الدفاع المستميت من الشعب الياباني عن وطنه، ولما تغلبت أمريكا عليه بالقنابل الذرية وأرسلت بعثة تربوية أمريكية إلى اليابان لتحيل نظام التربية ومناهج التعليم فيها فلمست هذه البعثة بحذف التربية الأخلاقية من مناهجها واستبدالها بالاجتماعيات، لأن الاجتماعيات أو التربية الاجتماعية مدخل أساسي لتغيير القيم الأساسية، لأن التربية الاجتماعية تنشئ الصغار على الأوضاع والعادات والتقاليد السائدة التي تتغير وتتبدل حسب الظروف والعوامل الاجتماعية، ولكن اليابان استدركت ما يترتب على إبعاد التربية الأخلاقية من انحلال النشء وضياع الشخصية اليابانية وعدم المبالاة بالوطن والأمة، ولهذا بعدما استعادت سيادتها على التعليم والتربية أعادت التربية الأخلاقية إلى المراحل التربوية."[1] إن جميع ما سبق وغيره يؤكد على أهمية التأصيل الإسلامي وضرورته لحماية الفرد المسلم والمجتمع المترابط والأمة الإسلامية من الذوبان والانسلاخ من ديننا الإسلامي شيئاً فشيئاً حتى تكون نسخاً باهتة من الشخصيات المتميعة التي لا هي بالشخصية الإسلامية ولا هي بالشخصية الغربية.

ثالثاً : أهداف التأصيل الإسلامي :

من خلال الأوضاع المختلفة للأمة الإسلامية، والتي دعت إلى المطالبة بالتأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية، وضعت بعض المؤسسات التعليمية[2] والأفراد[3] عدداً من الأهداف لتحقيقها من خلال التأصيل وحتى يؤتي ثمرته في تصحيح مسيرة التربية والتعليم، ولأهميتها في فهمها بشمولها، سأذكر بعضاً من هذه الأهداف كما وردت في ندوة التأصيل الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض:

---

(1) مرجع سابق ، أ. د. مقداد يالجن، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، ص ص ٥٣-٥٤.

(2) عمادة البحث العلمي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، عام ١٤١٣هـ.

(3) أ. د. مقداد يالجن ، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، ص ٣٨-٣٩.

(١) بيان ما في الشريعة الإسلامية بعامة وما في القرآن الكريم والحديث الشريف بخاصة من مبادئ السلوك، ومحركات الدوافع، وطبيعة الفطرة، وسنن الاجتماع، وقواعد العمران، ومنهج التربية، وأسس العلاقات الاجتماعية التي تنظم أحوال البشر وتحدد طبيعة مجتمعاتهم وتجمعاتهم ليكون ذلك معياراً ومنهاجاً لنظرة إسلامية ناقدة فاحصة يقوم على أساسها من يعهد إليه تلقيء عملية التأصيل كل ما يظهر على ساحة الفكر الغربي الوضعي أو الشرقي الماركسي، أو الأمريكي البرجماتي تقويماً يعتمد في أساسه ومعاييره على هذه النظرة الإسلامية الناقدة.

(٢) إحياء تراث المفكرين الاجتماعيين المسلمين الرواد لبيان مدى أصالتهم العلمية نظرياً ومنهجياً، وميدانياً في مجال العلوم الاجتماعية ليكون للتأصيل خلفيته الواضحة ولتتأكد الرؤية الحقيقية للإسلام الذي هو دين العلم والعمل، العقيدة، والعبادة .. النظر والتطبيق.

(٣) غرس الوعي الاجتماعي الإسلامي لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية بعامة، ولدى طلاب الجامعات بخاصة على أساس أنهم الطلائع التي تحمل مشاعل العلم النافع حاضراً ومستقبلاً، فإذا ما زودوا بهذا السلاح استطاعوا فهم علوم العصر، واستيعابها مهما تعددت اتجاهاتها، وتباينت منطلقاتها، والحكم لها أو عليها في إطار رؤية إسلامية بصيرة وناقدة تستطيع التمييز بين الغث والثمين، وبذلك يبتعدون عن الانزلاق في مهاوي الفكر المضلل، والغزو الأيديولوجي المنحرف.

(٤) تصحيح رؤية الإنسان المسلم إلى واقعها الاجتماعي، ومستواه الحضاري بحيث يؤدي فكره المستقيم هذا إلى وضوح رؤية إسلامية هادية تتأصل في وجدانه وتحدد فكره وسلوكه في علاقته بالله وبالناس وبالمجتمع.

(٥) مناقشة مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها أداة للإرشاد الفردي والتوجيه التربوي، والضبط الاجتماعي، وذلك من خلال إرسائها قواعد التعامل بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان وغيره من الكائنات، ثم بين الإنسان وخالقه جل وعلا، لكي ذلك لمواجهة ما يمكن أن يعترضه من مشكلات في حياته بعقيدة إسلامية متينة تستند إلى تقوى الله التي تذلل الصعاب وتيسر له الطريق .. انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ۝ سورة الطلاق.

(٦) الإفادة – في إطار عملية التأصيل الإسلامي – من ما انتهج المفكرون المحدثون والمعاصرون في دراسة واقع الإنسان على ألا يكون المنهج مبنياً على فكرة إلحادية مهينة لكرامة الإنسان مسقطة لقدره، كنظرية التطور وأصل الأنواع على أن تقوم دراسة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال منهج إسلامي، فثم من أخطاء جسيمة في دراسات إنسانية عديدة كان سبب انحرافها الانطلاق من نظريات غربية، أو شرقية متميزة.

(٧) تأسيس "المدرسة الإسلامية" في علوم الاجتماعية وهي مدرسة في مجال العلوم الاجتماعية تستند في أهدافها ومناهجها وأساليبها النظرية والتطبيقية على مبادئ الإسلام وأحكامه.

(٨) الانطلاق في الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية من مبادئ وأصول إسلامية مستمدة من الكتاب والسنة والتراث الفكري للأمة الإسلامية.

(٩) تنقية العلوم الاجتماعية مما شابها من تصورات، ومفاهيم واتجاهات منحرفة تتسلل من أصول وثنية أو يهودية أو نصرانية أو من مذاهب هدامة كالشيوعية والوجودية والإباحية، ويتم ذلك بالتقويم العلمي المبني على التصور الإسلامي الصحيح لتلك العلوم.

(١٠) تنقية جميع ما يقدم لطلاب العلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي مما يتعارض مع الإسلام لأن ذلك يؤدي إلى تحقيق التربية الإسلامية الحقة ويبعد المنافع عن التناقضات الفكرية والانحرافات الناتجة عن غياب الفكر الاجتماعي الإسلامي والمدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية.

(١١) تقديم الفكر الإسلامي النقي في مجالات العلوم الاجتماعية للعالم أجمع بالأسلوب المناسب حتى يعرف أصحاب المذاهب الاجتماعية والنفسية والتربوية الأخرى ما تتميز به المدرسة الإسلامية من سمات وخصائص عظيمة منبثقة من عظمة الدين الإسلامي وسموه وقدرته على إيجاد الحلول لكل المشكلات التي تواجه الإنسان في كل عصر ومصر.

(١٢) مواجهة النظريات والأفكار الغربية والشرقية التي لا تتفق مع الإسلام بفكر إسلامي أصيل وواضح مما يؤدي بالضرورة إلى حماية المجتمعات الإسلامية من تلك الأفكار والنظريات المنحرفة، وان يتم هذا بالرفض المطلق للفكر الغربي أو الشرقي، وإنما يتم بتقديم البديل الإسلامي، وإبراز مواطن الإبداع والتفوق فيه.

(١٣) تكوين الشخصية الإسلامية القوية المستقرة التي ربيت على مبادئ الإسلام في التربية والتنشئة الاستقرار النفسي من مبادئ الإسلام النفسية و التي تتعامل مع الآخرين وفق التوجيهات الاجتماعية الإسلامية، وبذا تتحول تلك العلوم إلى سلوك وتعامل.

(١٤) إعداد المعلم والباحث والمفكر المسلم وبناء شخصية كل منهم، وتكوين فكره وفقاً للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة بحيث تتحقق قدرتهم في تربية النشء تربية صحيحة، وتوجيه المجتمع توجيهاً سليماً يتسم مع مبادئ الإسلام ومثله العليا وقيمه الحضارية.[٢] كذلك ذكر أ. د. مقداد يالجن بعض أهداف التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والتربوية سأذكر بعضاً منها في الآتي:

(١) إشعار الناشئين بالاعتزاز بما في ديننا وبإسهامات علماء المسلمين في تأسيس العلوم والنهوض بها قديماً وحديثاً.

(٢) استبعاد كثير من المفاهيم والأفكار الوافدة والمتناقضة وإزالة تلك المفاهيم على ضوء معايير التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والسلوكية.

(٣) اطلاع المثقفين المهتمين بالعلوم السلوكية في جميع أنحاء العالم على ما لدى المسلمين من ثروة علمية في مجال العلوم الإنسانية وتأثيرهم على مسار هذه العلوم وتوجيهها وإسهامهم بها في الحضارة.

(٤) استخدام هذه العلوم المؤصلة في بناء الشخصيات الخيرة المتدفقة إلى السلوكيات الإسلامية العاملة بهذه العلوم.

(٥) إيجاد منهج واضح لتأصيل تلك العلوم عموماً وكل علم من تلك العلوم بوجه خاص.

(٦) استخدام تلك العلوم في تدعيم القيم الإسلامية والدعوة الإسلامية كما يستخدمها الغربيون في تدعيم أيديولوجياتهم.

(٧) إبراز الأصول والأهداف التي يقوم على ضوئها بناء العلوم الاجتماعية.

(٨) بناء عقلية إسلامية تفكر وتخطط وتقوم وتحل المشكلات على نهج الإسلام.

(٩) إنقاذ الأجيال من التبعية الفكرية والثقافية والعقلية والشخصية الغربية.[٣]

---

[٢] اللجنة الدائمة للتأصيل في صفة البحث العلمي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . ندوة التأصيل الإسلامي المنعقد بتاريخ ١٤١٣/١٢/٣٠هـ.

[٣] مرجع سابق ، أ. د. مقداد يالجن : أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، ص ٣٨-٣٩.

رابعاً: الحاجة للتأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية :

الحاجة للتأصيل الإسلامي فريضة دينية، وضرورة إنسانية، لإنقاذ الأمة الإسلامية من الدمار والهلاك، وحماية الأفراد من التردي والضلال في مهاوي الشيطان، لأن هناك فروقاً عديدة بين ديننا الإسلامي ومذاهب الغرب وفلسفات الشرق التي نستدعي بإلحاح شديد إلى التأصيل، و أهم هذه الفروقات الداعية للتأصيل هي:

١) التراث الغربي عبارة عن خليط من تراكم الأساطير والوثنيات القديمة والسحر والخرافات التي عرفها اليونان ، ثم تفسيرات مضطربة لفهم الكون ونشأة الحياة، وسير الأمم، ولاهوت مغرق في الاضطراب يقوم في أساسه على التجسيم، فلما جاء عصر العلم قام على أساس المحسوس، ثم كانت الحياة قبل ثلاثة قرون – قبل وصول الإسلام والعلم التجريبي إلى أوروبا – رهبانية وعزلة في الصوامع بعيدة كل البعد عن الدين المسيحي، وما أخرجهم منها غير الإسلام بدعوته إلى الكسب والسعي وتعمير الأرض، ولكنها لم تثبت إلا قليلا حتى تحولت إلى إباحية مغرقة في الانحراف على النحو الذي يعيشه الغرب الآن.[٥]

٢) طبق المشتغلون بالعلوم الاجتماعية في الغرب مناهج البحث العلمي التي نجحت في دراسة الظواهر الطبيعية كون مراعاة لاختلاف طبيعة الظواهر الإنسانية عن الظواهر الطبيعية، فجاءت نظريات العلوم الاجتماعية مغرقة في المادية ومعادية للدين أيضاً فزعمت أن من الممكن تفسير وظائف المخ والسلوك البشري في ضوء العمليات الطبيعية / الكيميائية والفسيولوجية وحدها دون أدنى إشارة إلى الوعي الإنساني أو العوامل الذاتية، وكان ينظر لهذه المبادئ على أنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها حتى تم انكشاف خطئها المنطقي وتفصها أخيراً.[٦]

٣) أن مؤسس الاتجاه الوضعي أوجست كونت أن تحقيق الموضوعية العلمية المنشودة في مجال العلوم الإنسانية لن يتم إلا بفصل العلم عن القيم والمعايير الأخلاقية التي اعتبرها من مخلفات القرون الوسطى، وبذلك أصبح المجتمع الغربي مجتمعاً فاسداً متحرراً من القيم والضوابط الأخلاقية.

---

(٥) د. أنور الجندي : المعاصرة في إطار الأصالة. القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص١٦٧-١٨٠.

(٦) مرجع سابق ، د. إبراهيم عبد الرحمن رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ص ٨٩.

٤) "إنها استبعدت تماماً كل ما لا يخضع للملاحظة الحسية من نطاق الدراسة، وأخرجت الجوانب الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه من نطاق الدراسة العلمية، فأهملت بذلك قطاعاً كاملاً من العوامل الحاكمة على السلوك البشري والتنظيم الاجتماعي." (١)

٥) نتيجة العداء الشديد بين رجال العلم ورجال الكنيسة تم استبعاد الدين والوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحي الصحيحة، واعتمدوا على المذاهب الفلسفية والتجارب البشرية، والآراء الشخصية لرجالهم، بمعنى أنهم اعتمدوا على العقل والحواس في معارفهم المختلفة. لكل ذلك كانت الحاجة ماسة وملحة لبدء في تأصيل العلوم التربوية والاجتماعية إسلامياً.

خامساً: خطوات التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية:

قبل أن نبين خطوات التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية والاجتماعية، لابد أن نؤكد على بعض المزالق والمخاطر التي يمكن أن يقع فيها الباحث عند التأصيل ويظن أنه قام بعملية التأصيل الإسلامي المطلوبة، منها الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في غير موضعها الصحيح والمناسب للمعلومات المراد توثيقها، مما يضعف الآية أو الحديث بأنه مخالف للمعنى، كذلك تطويع المعلومات وإخضاعها للإسلام بأي طريقة بعد حذف أو تحت أو طمس معالمها وذلك ليقال إن كل ذلك موجود في الإسلام أو في التراث الإسلامي، لأنه يرى أن القول بعدم وجودها في الإسلام يعتبر نقصاً في الإسلام، وأنه يتعارض (٢) مع قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ... ﴿٣٨﴾ سورة الأنعام، كذلك محاولة التوفيق بين المعلومات الإسلامية وأي معلومات فلسفية أو غربية مهما حصل بينهما من التناقض والتنافر، أو الاقتصار في التأصيل على الموضوعات التي يثبتها الغرب إثبات أنها موجودة في الإسلام وأنها لا تتعارض معه... إلى غير ذلك. وكما أكد الأستاذ محمد قطب أن التأصيل الإسلامي "عمل مختلف .. إنه الانطلاق ابتداءً من منطلق إسلامي، سواء اتفق في بعض الجزئيات أو لم يتفق مع ما كتبه الغرب في تلك العلوم ، فليس القصد الاتفاء لمجرد الاتفاء، ولا الاختلاف لمجرد الاختلاف، إنما القصد التعرف على التصور الإسلامي،

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٦.
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠.

وزاوية الرصد الإسلامية، ثم الانطلاق منها إلى حيث تؤدي بنا باستخدام الوسائل العلمية المشهود لها، والتي تناسب البحث المطلوب". (٢)

لذلك لابد أن تكون خطوات التأصيل شاملة لمجموعة من العلوم الإسلامية، والمعارف التخصصية، والمهارات البحثية التي يتقنها الباحث، حتى ينجح في التأصيل.

ومن أهم الخطوات للتأصيل هي:

١- الفهم العميق للقرآن الكريم وعلومه من حيث "معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه." (٣) والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، ومعرفة كل ما يتعلق بالتفسير والمفسرين، والإعجاز اللغوي والعلمي والأدبي للقرآن الكريم.

وعند التأصيل لابد أن نستدل أولاً بالآيات القرآنية الواضحة الدلالة، وما غمض فهمه نستعين بشرح وتفسير المفسرين لبيان معناه .

٢- الفهم الصحيح للأحاديث النبوية الشريفة من حيث صحتها وضبطها ومراتب الحديث ورجالها وتخريجها من كتب الصحاح الستة، مع فهمها من الشروح المعتمدة، ثم الاستدلال بها عند التأصيل.

٣- الفهم الدقيق لمصادر التشريع الإسلامي الأخرى مثل الإجماع والقياس والاستحسان والعرف والمصالح والاستصحاب وشرع من قبلنا، ويعرف أدلتها وضوابط استخدامها، والمقاصد الشرعية وأقسام الحكم التكليفي كالواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح.

٤- الفهم المتقان لقواعد الأصولية والفقهية، وأسسها وأدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مع معرفة ضوابطها الشرعية وكيفية توظيفها والاستفادة منها في التأصيل الإسلامي، مثل القاعدة الفقهية: "الأمور بمقاصدها" والمشقة تجلب التيسير" و"لا ضرر ولا ضرار"، و"العادة محكمة" و"ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" و"الأصل في الأشياء الإباحة" .. إلى غير ذلك من القواعد.

---

(٢) مرجع سابق ، محمد قطب : حول التأصيل الإسلامي لعلوم الاجتماعية ، ص١٩.

(٣) د. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن. بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص ١٥-١٦.

٥- الفهم العميق للتراث الإسلامي المتمثل في الفكر علماء الأمة ومفاربيها وقادتها المصلحين على مر العصور وتأملاتهم في مختلف مجالات المعرفة." [١]

ويعتبر التراث الإسلامي "هو الدعامة الرئيسية لبناء إسلامية المعرفة، فليس من الممكن لجهود الأمة اليوم أن تؤتي ثمارها المرجوة في البناء والإعمار والحضارة إلا أن يكون أساسها في المنهج والفكر أساساً سليماً." [٢]

٦- التمكن من المعرفة المعاصرة .. لابد من الإحاطة التامة بكل الظروف التي أحاطت بالعلوم والمعارف الغربية ومنطلقاتها وأصولها العقدية والفلسفية والفكر رجالها ومفاربيها، وخلفياتهم الدينية والثقافية، والمعرفة التامة بمناهج البحث العلمي والاجتماعي لديهم والنتائج التي توصلوا إليها، حتى يتمكن الباحث من التأصيل عن علم ومعرفة.

٧- "الاستفادة من توجيهات الإسلام العامة إلى طرق دراسة الحقائق ووجوه الاستفادة منها وتوجيهات الإسلام للمعلمين والمتعلمين والعلماء والكتاب والتوجيهات المهنية، ثم الأولويات أو نظرية الأولويات في الاهتمامات العلمية، وتحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينات وتوجيهاته نحو الكون والحياة والإنسان، وما إلى ذلك." [٣]

الفرق بين التصور الإسلامي والنظرة الغربية الوافدة للكون والإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع

لكل نظام من نظم التربية والتعليم في المجتمعات البشرية قديماً وحديثاً روحها الخاصة النابعة من تصورها للكون والإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق، بناء على عقيدة دينية، أو فلسفة بشرية، ونحن كأمة إسلامية لنا عقيدتنا الراسخة التي نستمد منها أهدافنا وقيمنا وتشريعاتنا وكل ما تحتاجه في حياتنا العامة والخاصة، ولما شعلت الأمة الإسلامية "صار المنتفعون يأخذون حاجتهم من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب الذي شاد كيان هذه العلوم وبناها على أساس من منظوره وواقعاً لظروفه وحاجته وأهدافه وغايته، ولذلك فإن هذه العلوم إنما تعكس قيم الغرب

---

[١] مرجع سابق ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : إسلامية المعرفة، ص١٢٩.

[٢] المرجع السابق ، ص ١٢٨.

[٣] مرجع سابق ، أ. د. مقداد يالجن: أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ، ص٧٦.

ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته وتشكل بالتالي على تلك الأسس والقاعدة الغربية مختلف وجوه السلوك والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية، وإذا كانت هذه الانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة مما يتفق الإنسان الغربي ويتناسب مع أهدافه وغاياته، فإن مما لاشك فيه أن هذه الانعكاسات تحدث لدى المسلم نوعاً من التمزق والقصام بين هذه القيم والمنطلقات والغايات الغربية، وبين معتقداته وقيمه وأهدافه وغاياته الإسلامية". [1]

لذلك كان من الواجب توضيح الفرق بين التصور الإسلامي والنظرة الغربية الوافدة لعلاج الأزمة الفكرية والأخلاقية والاجتماعية المتأصلة في جسد الأمة الإسلامية، حتى يتم التأصيل الصحيح بناءً على معرفة واضحة، وأسس علمية سليمة، ومعايير محددة، ومنهجية ضابطة.

وهناك عدة أسباب تدفعنا لتوضيح خصائص التصور الإسلامي، سنبينها كما ذكرها الكاتب سيد قطب رحمه الله:

١) لابد للمسلم من تفسير شامل للوجود، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود .. لابد من تفسير يقرب إدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق: حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية (وهذه تشمل على حقيقة الكون وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان) وما بينها جميعاً من تعامل وارتباط ..[2]

٢) معرفة [illegible] نفسه ومركزه في هذا الكون ودوره في الحياة وعلاقته بالأ[illegible]

٣) بناءً على [illegible]ة مركز الإنسان في الوجود الكوني وغاية وجوده الإنساني، وحدود اختصاصاته ودوره في الحياة، وعلاقته بغيره في هذا الكون، يتحدد منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا النهج، فنوع النظام الذي يحكم الحياة الإنسانية ربين بذلك التصور الشامل، ولابد أن ينبثق منه انبثاقاً ذاتياً، وإلا كان نظاماً مفتعلاً، قريب الجذور، سريع الذبول والفترة التي يقدر له فيها البقاء، هي فترة شقاء للإنسان، كما أنها فترة صدام بين هذا النظام وبين الفطرة البشرية،

---

[1] مرجع سابق - المعهد العالمي للفكر الإسلامي: إسلامية المعرفة (المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات)، ص ١٧-١٨.

[2] سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لبنان، دار القرآن للطباعة بطنطا ونشر علومه، طبعة عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، القسم الأول، ص٩.

وحاجات الإنسان الحقيقية، الأمر الذي ينطبق اليوم على جميع الأنظمة في الأرض كلها – بلا استثناء – وبخاصة في الأمم التي تسمي متقدمة.» [٢]

٤) عندما أنزل هذا الدين على رسولنا الكريم محمد ﷺ جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص متميز متفرد، وهي في الوقت ذاته أمة جاءت للقيادة البشرية، وتحقيق منهج الله في الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة، والمناهج الضالة، والتصورات الضالة، وهو ما تعاني اليوم مثله مع اختلاف في الصور والأشكال، وإدراك المسلم لطبيعة التصور الإسلامي وخصائصه ومقوماته هو الذي يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً في بناء هذه الأمة ذات الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ.» [٣]

لذلك لابد لنا من معرفة المنطلقات الأساسية للتصور الإسلامي:

أولاً: المنطلقات الأساسية للعلوم التربوية والاجتماعية في التصور الإسلامي:

١- الكـــون:

يعتبر الكون في التصور الإسلامي آية من آيات الله المعجزة، التي تدل على عظمته وإبداعه وإتقانه، خلقه الله عز وجل وفق نظام معجز، وقوانين ثابتة ودقة متناهية، وحكمة بالغة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ سورة القمر، وقال الله تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة يس ، والكون مخلوق من مخلوقات الله، أحدثه من عدم، وليس وليد الصدفة أو خُلق عبثاً ولهواً، وإنما خلق لحكمة إلهية.» [٤]، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[٢] المرجع السابق ، ص٩.

[٣] المرجع السابق ، ص٩.

[٤] د. محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية . الرياض ، دار المريخ للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، ص٢٩.

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ سورة الدخان.

ويتكون الكون من غيب غير محسوس وشهود محسوس، وعالم الغيب هو "عالم لا يدخل في حدود الكون المادي الذي يمكن أن تدركه مكوناته الحواس، ومن هذا العالم الروح والملائكة والجن والملأ الأعلى الذي به سدرة المنتهى والعرش والكرسي واللوح المحفوظ والبيت المعمور وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله."[1]

وقد وردت الآيات القرآنية التي توضح نشأة الكون من حيث تركيبه ومراحل نشأته، فهناك ذكر لعدد السموات وعدد الأرضين، وذكر لأيام الخلق، وذكر لمادة الكون في بعض مراحل نشأته، وذكر لبعض الأطوار والتحولات التي تمت فيه."[2]، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ سورة فصلت . وقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ

---

[1] علي أحمد مدكور: المفاهيم الأساسية لمناهج التربية الإسلامية. الرياض ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الطبعة عام ١٤٢٩هـ ، ص١٨.

[2] أ. د. سعيد اسماعيل علي وآخرون : التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات). الرياض ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص٥٨.

سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ سورة الأنبياء.

"والأسباب في هذا الكون هي أسباب وسنن إلهية، مردّ وجودها وعلاقاتها وآثارها الكلية إلى الله سبحانه وتعالى، وليس على الإنسان إلا السعي في مناكبها وفق طاقته، وهو مسئول بحسب إرادته وقدرته، وجزاؤه وحسابه على ما كسبت يداه بعد ذلك إلى الله، أما الكليات الإلهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب فذلك من أمر الله، ونتعلق بعلمه المطلق الذي لا يحيط به أحد إلا بإذنه إلى يوحي من أمره ما يشاء لمن يشاء ممن اختارهم من الرسل، فهو سبحانه خالق تلك السنن، وهو ذاته منزل الوحي لهداية البشر لما شاء من تلك السنن إلى جانب وظيفة الوحي في إرشاد الناس لما ينبغي عليهم فعله لتحقيق مرضاته."[٢]

٢- الإنسان :

يعتبر الإنسان في التصور القرآني و النبوي خلق من مخلوقات الله المستقلة، التي لم تتحدر من أصل حيواني أو بيولي، وإنما خلقه الله ﷻ خلقاً مكرماً متميزاً، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ سورة الإسراء، وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ سورة التين، ثم ذكرت الآيات القرآنية أصل الإنسان و مكونات تكوينه، قال الله تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ سورة السجدة، ثم بينت الآيات القرآنية مراحل خلقه، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ

(٢) مرجع سابق ، د. إبراهيم عبد الرحمن رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية. ص١٣٧.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ سورة هود.

وقد نظر الإسلام إلى الإنسان على أنه وحدة متكاملة قائمة على تداخل و امتزاج و تشابك دقيق للحياة، شديد التعقيد بين المادة و الروح، وهو وحدة متوازنة البنيان.[1] تتم بهما الحياة ولا تذكر أحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يؤاسي الجسد حقاً لتوافي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس الروح حقاً لتوافي حقوق الجسد، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك.[2] وقد زود الله الإنسان بأدوات التعلم و المعرفة من سمع وبصر وفؤاد وعقل قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ سورة السجدة، و بالدوافع الفطرية لاستمرار حياته قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ سورة آل عمران، ثم سخر الله الله الكون بما فيه للإنسان لتحقيق الغاية من وجوده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ سورة الذاريات.

وقد خلق الله تعالى الموجودات و صرف شئونها بحيث تستجيب لحفظ الحياة، وعلى تحقيق خلافة الله على الأرض، وإلى بناء التعامل العمراني مع الطبيعة تعاملاً إيجابياً فعالاً، وهذا المعنى يجمعه [3] قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

---

(1) د. حسن إبراهيم عبد العال : مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية) ، الرياض ، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع ، طبعة عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص٧٢ .

(2) عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية عام ١٩٦٩م، ص٣٠ .

(3) مرجع سابق ، أ . د . سعيد إسماعيل و آخرون : التربية الإسلامية (المفهومات و التطبيقات) ، ص١٨ .

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ سورة الجاثية. وقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ سورة إبراهيم .

وقد تميزت الطبيعة الإنسانية بأنها نتاج لعاملي الوراثة والبيئة، قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴿٣٧﴾ سورة آل عمران. و قوله تعالى أيضاً في شأن الوراثة: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ سورة نوح. وقد شبه الله تعالى أثر البيئة الاجتماعية بالتربة الصالحة قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴿٥٨﴾ سورة الأعراف. كما تميزت الطبيعة الإنسانية بقبولها للخير أو الشر ، قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ سورة الشمس. وبناء على طبيعة النفس البشرية فقد جاء المنهج الإسلامي شاملاً لكل ما يحتاجه الإنسان لاستقراره وأمانه لعمارة الأرض بما فيه خيره و خير البشرية ..

٣- المعرفة :

يختلف مفهوم المعرفة عن مفهوم العلم في المنهج الإسلامي فلم يسرد لفظ المعرفة في القرآن الكريم، ولكن وردت له اشتقاقات كثيرة فجاء بصيغة الماضي كما في قول الله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ... ﴿٨٣﴾ سورة المائدة، و جاء بصيغة الفعل المضارع كما في قوله عز و جل: ﴿ يَعْرِفُونَ

يَعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ... ﴿٨٣﴾ سورة النحل، والمعرفة في هاتين الآيتين: إدراك الشيء بتفكير و تدبر أثره. و جاءت في القرآن أيضاً صيغة "عرّف" بمعنى بيّن، وأعلم في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ سورة التحريم، و صيغة اعترف: بمعنى أقر في قوله سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ... ﴿١٠٢﴾ سورة التوبة، و كذلك المعروف وهو: ما عُرف - بالعقل أو الشرع - حسنه [1]، يقول جل وعلا: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ سورة البقرة، فالمعرفة تعني "مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به، وهي بهذا المعنى لا تقتصر على الظواهر من لون معين، وإنما تتناول جميع ما يحيط بالإنسان وكل ما يتصل به." [2]

ويرى بعض الباحثين أن هناك فرقاً بين العلم والمعرفة فقال: "العلم هو المعرفة المصنفة، بينما يذهب فريق آخر إلى تعريف العلم بأنه عبارة عن المعرفة التي تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب والتي تتم بهدف تحديد طبيعة وأصول الظواهر التي تخضع للملاحظة." [3]

وقد عرفها د. مقداد يالجن بأنها: "مجموعة من المواقف والآراء والمبادئ والأحكام المتناسقة والمنطقة بالعلوم والمعارف وتفسيرها من منظور إسلامي." [4]

والغاية الأساسية للمعرفة هي "معرفة الله بأفعاله ومظاهر تدبيره وتصريفه في الخلق والوجود القائم، فهذه المعرفة هي السبيل الفعال لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي عبادته سبحانه وتعالى، وعبادته هي طاعته طاعة كاملة لمحبته محبة

---

[1] مرجع سابق، أ. د. سعيد إسماعيل علي : التربية الإسلامية (المفهومات و التطبيقات)، ص ١٠٠

[2] عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي . القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٧م ، ص١٨ .

[3] المرجع السابق ، ص١٩ .

[4] مرجع سابق، أ. د. مقداد يالجن : أساسيات التأصيل و التوجيه الإسلامي للعلوم و المعارف والفنون ، ص١١٤ .

كاملة، والله سبحانه وتعالى هو المصدر الحقيقي للعلم والمعرفة"[1] قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾ سورة الملك آية ٢٦.

وقد حدد د. الكيلاني لعلاج وأنواعاً للمعرفة الإنسانية[2] المستمدة من الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ سورة العلق.

١- المعرفة اللغوية: قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ سورة الرحمن.

٢- المعرفة المهنية: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ... ﴾ سورة المائدة.

٣- والمعرفة الصناعية: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ... ﴾ سورة الأنبياء.

٤- والمعرفة الحكيمة والإدارية ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ... ﴾ سورة البقرة.

٥- ومعرفة الكتابة: ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ سورة العلق.

٦- ومعرفة تدريب الحيوان: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾ سورة المائدة.

٧- ومعرفة تحليل الأحداث والوقائع: ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ... ﴾ سورة يوسف.

وقد قسم د. مقداد يالجن مصادر المعرفة من المنظور الإسلامي إلى قسمين:

---

[1] د. ماجد عرسان الكيلاني: فلسفة التربية الإسلامية، مكة المكرمة، مكتبة المنارة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٢٣٢.

[2] المرجع السابق، ص ٢٣٤- ٢٣٦.

الأول: مصادر المعرفة الإسلامية التشريعية – المعروفة – كالقرآن والسنة النبوية، والإجماع والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان .. إلى غير ذلك من المصادر التشريعية الأخرى .

الثاني: مصادر المعرفة البشرية: "وهي التي توصل إليها العلماء المسلمون وغيرهم باجتهاداتهم وتجاربهم" .

وأمثلة هذه المعرفة هي الآتية:

١- الحس والإدراك الحسي وأدواتها الحواس ومجالاتها المعارف الحسية .

وردت الكثير من الآيات القرآنية التي توضح أهمية الحواس وقيمتها ودورها في المعرفة، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ سورة الفرقان، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة النمل، كذلك وضح أدوات المعرفة الحسية، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة النحل.

٢- العقل ومجالاتها المعارف العقلية وأسرار العلوم .

"العقل المسلم عقل علمي يسعى للمعرفة على شروطها وحسب معطياتها الموضوعية لا على أساس من الأهواء والنزوات والضلالات، فلا يضيع له جهده ولا يضل به طريق"[1]، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ... ﴾ سورة المؤمنون، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ سورة القصص .

٣- الإلهام و مجالاتها المعارف القلبية .

٤- الحدس و مجالاتها المعارف الوجدانية .

---

(١) د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ص١٨٠.

٥- حكمة الأمم و تجاربها في الماضي و الحاضر و لكنها مقبولة ما لم تتعارض مع روح الإسلام . (١)

والمعرفة في الإسلام يقينية ثابتة من عند الله تعالى وتشمل جميع المبادئ والأحكام والتشريعات والقيم الموحى بها من عند الله ووردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، من خلال الوحي الذي يعتبر المصدر الإلهي "الذي يمد الإنسان والمعرفة الإنسانية بحاجتها من علم بشئون الغيب وعلاقاته وغاياته النهائية، وعلاقة الإنسان بهذه النهايات والغايات، والعقل هو أداة الإنسان للعلم والمعرفة والأداء في هذه الأرض وهو عالم الشهادة وذلك تحقيقاً لمهمة الخلافة وغايتها في إقامة علاقات الحق والعدل والإحسان." (٢)

أما المعرفة المتغيرة فهي المكتسبة من الأعراف والعادات والمجتمع وهذه تخضع لتجارب البشر ومعاييرهم لذلك تحتاج إلى توثيق وخضوع لمنهج الإسلام .

٤- الأخلاق :

يعتبر علم الأخلاق في المنهج التربوي الإسلامي هو "علم الخير والشر والحسن والقبيح، وهو واحد من العلوم الإسلامية التي تقوم على مصادر المعرفة الإسلامية منها القرآن الكريم والسنة والمصادر التشريعية الأخرى، والدليل على ذلك كثير في القرآن والسنة، إذ جاءت كثير من الآيات و الأحاديث تبين أن الخير و الشر وأن الحسن و القبيح وتعرفها أحياناً بالمعروف وأخرى بالمنكر والنفع والضر." (٣) وقد عَرَّف الخلق في لسان العرب بأنه "الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة." (٤)

وعرفه الإمام الجرجاني بأنه "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر

---

(١) مرجع سابق ، أ.د . مقداد يالجن : أساسيات التأصيل و التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص ١٣٨ .

(٢) مرجع سابق، د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ص ١١٣ .

(٣) أ.د. مقداد يالجن : علم الأخلاق الإسلامية . الرياض ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ص٤٧.

(٤) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري . لسان العرب . بيروت ، دار صادر ، دون طبعة وتاريخ ، المجلد العاشر ، ص٨٦ .

منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً" [1] وعرفه ابن مسكويه بقوله: "الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب، و كالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى شيء يعجبه، و كالذي يقلم و يحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدوءه بالفكر، ثم يستمر عليه أولاً حتى يصير ملكة وخلقاً." [2]

لذلك أعلى الإسلام من قيمة الخلق الفاضل، قال عليه الصلاة والسلام: { ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق} [3] وحدد الهدف من رسالته ﷺ { إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق} ثم ربط الأخلاق بجميع جوانب الإسلام عقيدة وعبادة وتشريعاً وأحكاماً ومعاملات وهذه أمثلة على ذلك:

- ربط الأخلاق بالعقيدة و الإيمان بالله: قال عليه الصلاة والسلام: { أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله} [4] وقوله ﷺ: { من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت.} [5]
- ربط الأخلاق بالعبادات ففي الصلاة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ... ﴿٤٥﴾ سورة العنكبوت.

---

(1) علي بن محمد علي الجرجاني : كتاب التعريفات (حققه و قدم له ووضع فهارسه) إبراهيم الابياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٣٦ .

(2) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي مسكويه : تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق (قسطنطين الشماع حسن تميم ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ص٥١ .

(3) الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود (مراجعة و فهرسة) فضيلة يوسف الحوت ، بيروت ، دار الجنان للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، الجزء الثاني ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، حديث رقم 4799 ، ص٦٦٨ .

(4) الإمام أحمد بن حنبل : المسند (تحقيق) عبد الله محمد الدرويش ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الجزء التاسع ، حديث رقم 24736 ، ص٣٩٥ .

(5) الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م - الجزء الأول ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار و الضيف و لزوم الصمت إلا عن الخير و كون ذلك من الإيمان ، حديث رقم ٧٧- (٤٨) ، ص٦٩ .

- وفي الزكاة قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ التوبة.

- وفي الصيام قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم.﴾ (*)

- وفي الحج، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ سورة البقرة.

- وفي النفقة دون منٍ ولا أذى قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة.

- وفي القصاص قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة.

وفي الحياة الزوجية قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن

(*) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، كتاب الصيام ، باب حفظ اللسان للصائم ، حديث رقم ١٦٠ - (١١٥١) ، ص ٨٠٦ .

بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ سورة العنكبوت، و قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ سورة النساء، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي تحث على التمسك بالخلق الفاضل في جميع جوانب الحياة اليومية.

وتظهر أهمية الأخلاق في الإسلام في تحقيق الحياة الاجتماعية المتماسكة والمستقرة، التي تؤدي إلى تقدم الحضارة العلمية والعمرانية والاقتصادية والصناعية، وتنشر دعائم السعادة والصلاح والعدالة لكل الناس، لذلك فالأخلاق في الإسلام تهدف إلى إرضاء الله ﷻ، ولا تسعى لتحقيق أو المنفعة الشخصية، فالإنسان يقوم بالأعمال الأخلاقية لأنه مأمور بها من قبل خالقه وأن يقصد بها وجهه لا وجه أحد ولا وجه السعادة أو تحقيق السعادة. هذا القصد من خلق الإنسان [1]، مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ سورة الذاريات، و قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ سورة الرعد.

وتهدف تلك الأخلاق في الإسلام إلى إصلاح الباطن والظاهر، "لأنها إذا صلحت واستقامت حياة الباطن صلحت الأخرى واستقامت، وصلاح هذه وتلك واستقامتها هما الطريق إلى السعادة الإنسانية." [2] ولهذا قال الرسول ﷺ: { ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.} [3] "وتقوم أيضاً الأخلاق الإسلامية على التحكم والسيطرة على الشهوات والرغبات والانفعالات النفسية قال عليه الصلاة والسلام: { ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

---

(1) أ.د. سعاد ياسين : علم الأخلاق الإسلامية . الرياض ، دار عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى لعام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م ص٨٩ .

(2) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(3) الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري . (رقم كتبه وأبوابه و أحاديثه) محمد فؤاد عبد الباقي ، (قام بإخراجه و صححه وأشرف على طبعه) محب الدين الخطيب ، لبنان ، دار المعرفة ، الجزء الأول في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم٥٢ ، ص١٩٦ .

الغضب.)[٢] ودعا إلى التحكم في الشهوات، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النازعات، وقول الله تعالى في التغلب على نزعة الانتقام: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ سورة آل عمران .

٥- المجتمع :

"عرف المجتمع بعدة تعاريف منها: مجموعة من الأفراد يعيشون معاً فوق بقعة ما يتعاونون ويتضامنون، ويرتبطون بتراث ثقافي معين، ولديهم الإحساس بالانتماء بعضهم لبعض وللوطن لميادينهم ويكونون مجموعة من المؤسسات تؤدي الخدمات اللازمة لهم وتضمن بالتالي مستقبلاً لحياتهم، وتنظم العلاقات فيما بينهم وبما يرضي الغالبية العظمى منهم." [٣]

تعريف آخر: " أن المجتمع البشري يتكون من عنصرين هما: جمع من الناس (بحد أدنى اثنين) والقوانين (بما فيها أنماط التفكير والسلوك والأعراف والمعايير التي يشتركون فيها ومن المفروض أن يتبعوها."

وأقام الإسلام المجتمع الأول على خصائص ودعائم تميزه عن تلك التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية أو في الحضارات القديمة كالحضارة الرومانية أو الفارسية أو الفرعونية، وتتلخص هذه الخصائص التي نهض عليها المجتمع الإسلامي الأول على الآتي:

أ - الربانية :

"المجتمع الإسلامي مجتمع ربانى يقوم على طاعة الله وتحقيق إرادته كما تمثلت في آخر رسالة وأصدق كتاب .. وهو بذلك يحدد عقيدته وفلسفته (ايديولوجيته) ويضع

---

(٢) الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، الجزء الرابع ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، و بأي شيء يذهب الغضب ، حديث رقم ٦٠٢ ، ص٢٠١٨ .

(٣) د. إبراهيم ناصر : علم الاجتماع ، بيروت ، دار الجيل ، الأردن ، مكتب الرائد الخمسة ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص١٣٥ .

دستوره الذي لا يتبدل، ويستقي عن كل عقيدة ونظام." [1] وجعل أساس العلاقة بين الناس عقيدة "لا إله إلا الله" وهي تعني إسلام الوجه لله وإفراد الألوهية له هو وحده ؟ أو المفارقة بين بني البشر، المؤمنون بالله والمسلمون له هم حزب الله، والكافرون بالله المكذبون برسوله وبدعوة الحق الذي بعث بها هم حزب الشيطان." [2] قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ المجادلة، أما من آمنوا بالله فقد قال فيهم الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ سورة المجادلة.

ولم يجعل الإسلام الإكراه على العقيدة هو الأساس في التعامل مع الناس أو الاختلاف فيها مبرراً للقهر أو العدوان على الآخرين، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ سورة البقرة.

ب- الإنسانية :

"قام الإسلام مجتمعه على مبدأ وحدة الإنسانية وكرامتها " بعد أن كانت العصبية هي التي تسود في القبيلة والعشيرة والبيت، وأوضح الإسلام أن الإنسان إنما تتبع قيمته عن أصل واحد وتتجه إلى إله واحد، كما اعتبر الإسلام أن اختلاف الألسنة والألوان والأجناس والأمكنة ليس مبرراً لفرقة الناس وتشاذهم أو تشتتهم، وإنما يعد ذلك دلالة على قدرة الخالق وعظمته علاوة على ما فيه من دعوة إلى التعارف والتآلف تحقيقاً

---

(1) د. مصطفى عبد الواحد : المجتمع الإسلامي . أصوله و دعائمه ، أوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة . بيروت ، دار الجيل ، القاهرة ، مكتبة المتنبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص٢٨٦ .

(2) د. صلاح الخرافي : التصوير القرآني للمجتمع (الإنسان والنظم الاجتماعية) . القاهرة ، دار الفكر العربي ، طبعة عام١٩٨٥م ، الجزء الأول ، ص٨٤ .

لهدف استخلاف الله للإنسان في الأرض."[1] قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء .

كما أكد الإسلام على كرامة الإنسان وعزته المستمدة من إنسانيته فالإنسان له قيمته واعتباره في المجتمع ولا تستمد من العصبية القبلية أو الجنس أو اللون أو الطبقة أو الثروة أو الحسب أو المكانة الاجتماعية أو غيرها من أعراض الدنيا الزائلة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ سورة الإسراء.

ج- العدالة:

تميز منهج الإسلام بقدرته العجيبة على استيعاب جميع البشر، وكفل لهم حماية حقوقهم وأمنهم وأعراضهم وأموالهم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة. "وقد استطاع المجتمع الإسلامي في مسيرته الطويلة أن يعدل بين الكافة وأن يعطي كل ذي حق حقه، ولم يؤثر عنه اضطهاد أو تنكيل حتى لمن لا يؤمن بالإسلام من أهل الكتاب أو غيرهم من أهل الذمة."[2]

لذلك جعل الإسلام العدالة إنسانية شاملة، "وأقامها على ركنين قويين: التحرير البشري من داخل النفس والتكليف القانوني في محيط المجتمع، وزاوج بين هذه القوة وتلك، مثيراً في الوجدان الإنساني أصدق المشاعر غير غافل عن ضعف الإنسان وحاجته

---

(١) المرجع السابق ، ص٨٢ .

(٢) مرجع سابق ، ٥٠. مصطفى عبد الواحد : المجتمع الإسلامي . ص٢٨٨ .

إلى الوازع الخارجي، كما يقول عثمان بن عفان: وزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.» (١)

د - الالتزام:

توجد في المجتمع الإسلامي الحدود والقوانين والأحكام والتشريعات التي تحقق الأمن والطمأنينة للبشر، ولكنها لم تعتمد عليه فقط في إصلاحه، وإنما اعتمدت على ما ينشئه في قلب كل فرد من وازع ديني عميق يشعره برقابة الله عليه و إحاطته بأمره.» (٢) قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ... ﴿٢٣٥﴾ سورة البقرة، وقول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ سورة المجادلة. وبعد أن ربط الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ضمير الفرد، حمله المسئولية كاملة عن أعماله وتصرفاته من خير وشر، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ سورة المدثر، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ سورة الإسراء.

وبذلك جعله يقف الإنسان من نفسه موقف الرقيب، يهديها إن ضلت، ويمنحها حقوقها المشروعة، ويحاسبها إن لفظت ويحتمل تبعة إهماله لها.» (٣) حتى تستقيم وتتبع منهج الله في أرضه، وليس الفرد فقط محاسباً وإنما الأمة كلها فإذا نفذ و بذلها الأذى والعقاب في الدنيا والآخرة إذا سكتت عن وقوع المنكر فيها من بعض بنيها، فهي مكلفة أن تكون قوامة على كل فرد فيها: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام . القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ص٨١-٨٢ .
(٢) مرجع سابق ، د. مصطفى عبد الواحد : المجتمع الإسلامي . ص٢٩٠ .
(٣) مرجع سابق ، سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص٦٨ .

فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ سورة الإسراء، و بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدد مسئولية الفرد والجماعة وتلزمهما بها وتحاسبهما عليها بضبط المجتمع الإسلامي ويعيش في سلام وأمان ويحقق العدالة الاجتماعية التي تدفعه إلى التقدم والازدهار، وحتى يترسخ هذا البنيان القوي في المجتمع أقيم على دعائم ثابتة قوية تحفظ كيانه، وتحقق استقراره، من هذه الدعائم:

١- الأخوة في الله :

ربط الإسلام أفراد المجتمع جميعهم برباط أقوى من علاقة الدم والنسب، ألا وهو رباط الأخوة في الله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾ سورة الحجرات، بمعنى أن بين المؤمنين رباطاً روحياً يربطهم يتمثل في إيمانهم بإله واحد واعتقادهم بغاية واحدة للحياة ومصير واحد ومن أجل ذلك فهم إخوة، لا تربطهم المصالح المادية، أو المنافع الدنيوية، إنها علاقة الأخوة من أسمى وأقوى الصلات التي تربط بين الأفراد، قال عليه الصلاة والسلام: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله نخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذ خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس.) [٢] و قرأ هذه الآية: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ سورة يونس، و قوله ﷺ: (أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.) [٣]

ثم تأتي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على توطيد الصلات لإشاعة بصلة الآباء بالأبناء والأقارب والأرحام والقيام بها بغير المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ... ﴿٢٣﴾ سورة الإسراء ، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٩٠﴾

---

(٢) مرجع سابق ، الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود (دراسة و فهرسة) كمال يوسف الحوت . الجزء الثاني ، البيوع باب في الرهن ، حديث رقم ٣٥٢٧ ، ص٣١٠-٣١١ .

(٣) مرجع سابق ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم . الجزء الرابع ، باب في فضل الحب في الله ، حديث رقم (٣٧- (٢٥٦٦)) ، ص١٩٨٨ .

سورة النحل، و قول الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ سورة محمد، وقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ سورة الممتحنة.

٢- المساواة :

عالج المنهج التربوي الإسلامي الطبقية المقيتة بين الناس على أساس الحسب أو المال أو الجاه أو المكانة الاجتماعية من خلال رد البشر إلى أصل خلقهم وهو أنهم من أصل واحد، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ سورة النساء، وقوله ﷺ: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، و إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم.) [1] بذلك ساوى المنهج الإسلامي بين البشر مساواة كاملة في الحقوق و الواجبات ما دام الأصل الواحد هو الذي يجمع بينهم، أما التفاوت والاختلاف بين البشر بسبب اللون أو الجنس أو النسب أو المال فلا يقره الإسلام بأي حال من الأحوال وطبق المجتمع الإسلامي في عصوره المختلفة وفي ضمير الشعب وشعوره في كل عصر فهم الإسلام وعمل به مبدأ المساواة أكمل ما يكون التطبيق، وترجم إلى الواقع ما أعلنه رسول الإسلام ﷺ في الحجة الوبرة الرائعة التي تحدد أسس المساواة في الحقوق والواجبات وتمحق التفاضل على غير أساس حين قال: (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى) فالمي بذلك أن يمتاز أحد على أحد في حق أو واجب، وفرض على المجتمع أن يقدس المساواة ويضعها ميزانا عادلا يعامل به أفراده.' [2]

والمجال لا يتسع لعرض مواقف من سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام في المساواة، فقد ضربوا أروع الأمثال عن ذلك.

---

[1] مرجع سابق ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الجزء السادس ، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى (الحجرات: ١٣)، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .)حديث رقم ٣٤٨٩-٣٤٩٩ ، ص٤٢٧.

[2] مرجع سابق ، د. مصطفى عبد الواحد : المجتمع الإسلامي . ص٧٣ .

٣- الحرية :

قام المجتمع الإسلامي على مبدأ الحرية المنضبطة بآداب وأخلاقيات رصينة تحفظ للفرد كرامته وحقوقه، وللمجتمع أمنه واستقراره.

إن مفهوم الحرية يتسع ليشمل حياة الفرد كلها، فله مطلق الحرية في الاعتقاد بالدين الإسلامي أو غيره، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ سورة البقرة، وهذا يعني أن المجتمع الإسلامي يتسع لجميع الأديان دون حقد أو كيد أو فتنة بل لهم حقوق وعليهم واجبات بالعدل والإحسان، قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة.

كذلك للفرد حرية الرأي في الذات والتقويم إذا رأى منكراً أو انحرافاً في المجتمع قال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.)[1] وقوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.) [2]

كذلك للفرد حرية الفكر والاقتناع بما يراه مناسباً من وجهة نظره بالحوار والنقاش، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة النحل.

كذلك للفرد الحرية في التملك والتصرف فيما يملك وله حرية اختيار العمل الذي يريده، وحرية الحركة والانتقال والسعي في أي أرض وأي مكان، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى الحفاظ على حريته الشخصية وحرمة منزله، وخصوصية حياته.

---

[1] مرجع سابق ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، الجزء الأول ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، حديث رقم (٥٥) ، ص ٧٤ .

[2] المرجع السابق ، الجزء الأول ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، حديث رقم ٧٨-٤٩ ، ص ٦٩ .

فالشرع قبل الاستئذان قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ سورة النور، كذلك أعطى الإسلام من قيمة الفرد وحياته وعرضه، وحذر من الاستهانة بها، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ سورة النور، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ سورة النساء، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحافظ على كيان الفرد المسلم وتطلق حريته للبناء والتعمير، وتقضي على العبودية والإذلال التي تبعث الظلم والقهر والعدوان بين البشر.

٤- التكافل :

يقوم المجتمع الإسلامي على مبدأ التكافل الاجتماعي بين الأفراد فيكونون وحدة متضامنة متماسكة متعاونة لمواجهة الصعاب وتقليل العقبات، كل فرد فيه حريص على مصلحة غيره يسانده ويعاضده، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.﴾ [1] وقوله ﷺ: ﴿ مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [2]، وحذر الإسلام من التنازع والتناحر والشقاق حفاظاً على وحدة الجماعة وتضامنها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ

---

(1) مرجع سابق ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، الجزء الرابع ، كتاب البر والصلة والصداقة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، حديث رقم ٦٥- (٢٥٨٥) ، ص١٩٩٩ .

(2) المرجع السابق ، نفس الجزء والكتاب والباب ، حديث رقم ٦٦- (٢٥٨٦) ، ص١٩٩٩ .

أَلَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ سورة الأنفال، والإسلام يقرر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله، فهناك التكافل بين الفرد وذاته، وبين الفرد وأسرته القريبة، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة أيضاً، هناك تكافل بين الفرد و ذاته، فهو مكلف أن ينهي نفسه عن شهواتها، و أن يزكيها و يطهرها، و أن يسلك بها طريق الصلاح والنجاة، وألا يلقي بها على التهلكة"[1] قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ سورة الشمس، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ... ﴿١٩٥﴾ سورة البقرة، وقول الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ... ﴿٧٧﴾ سورة القصص.

أما الأسرة فهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وهي تقوم على الميول الثابتة في الفطرة الإنسانية، وعلى عواطف الرحمة والمودة، ومقتضيات الضرورة والمصلحة، كما أنها الحقل الذي تنشأ فيه وحوله مجموعة الآداب والأخلاق الخاصة بالجنس، وهي في صميمها آداب المجتمع الذي ارتفع عن الإباحية الحيوانية والفوضى الهمجية"[2] وهناك تكافل بين الآباء والأبناء والأقارب والأرحام، فصلت الآيات القرآنية جانبيه المعنوي والمادي، قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ... ﴿١٤﴾ سورة لقمان، و قول الله تعالى: ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ... ﴿٦﴾ سورة الأحزاب، وقول الله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ سورة الروم، وقول الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

(١) مرجع سابق ، سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص٦٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

الْأُخْتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ... ﴿١١﴾ سورة النساء، كذلك هناك تكامل بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والفرد لتشابك المصالح بينهما وتوحدها من باب الإحساس بالمسئولية الفردية والجماعية قال عليه الصلاة و السلام: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.) [1] والتعاون واجب بينهما لاستقرار المجتمع وأمنه، فقال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴿٢﴾ سورة المائدة، والحب والتواصي بالخير والمعروف من دعائم قوة الفرد والجماعة، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.) [2] وقوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.) [3] ولم يقتصر التكافل المعنوي بين الفرد وأسرته وأقاربه وأرحامه وجميع الناس، بل وجد دعائم التكافل المادي فمنه ما هو واجب كالزكاة ومنها هو نافل يخرج من الإنسان عن طيب خاطر ليساعد غيره. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ سورة البينة، وقول الله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ سورة الذاريات، وقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴿١٧٧﴾ سورة البقرة، وقال عليه الصلاة والسلام: (دينار أنفقته في سبيل الله . ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك .) [4]

---

(1) مرجع سابق ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الجزء الثاني ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، حديث رقم ٨٩٣ ، ص ٣٨٠ .

(2) مرجع سابق ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، الجزء الأول ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، حديث رقم ٧١- (١٥) ، ص٦٧ .

(3) المرجع السابق ، الجزء الأول ، كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار ، حديث رقم ٧٣- (١٦)، ص٦٨ .

(4) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ، حديث رقم ٣٩ – (٩٩٥) ، ص٦٩٢.

ثم وسع المنهج الإسلامي مفهوم الصدقة ليشمل كل أعمال الخير والبر التي تشيع الترابط والألفة والتماسك بين أفراده فغيرهم وغيرهم قال عليه الصلاة والسلام: (على كل مسلم صدقة قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل، قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة.) [٤]

وقوله ﷺ: (كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع منه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة و تعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، و تميط الأذى عن الطريق صدقة.) [٥]

مما سبق نرى أثر المنطلقات الإسلامية ثرية جداً بمنهجها القرآني و النبوي الشامل لكل ما يحتاجه الإنسان، وما ذكر في هذا الفصل إنما هو إيجاز مقتضب لذلك المنهج من جميع جوانبه، اقتضته طبيعة هذه الدراسة.

ثانياً: المنطلقات الأساسية للعلوم التربوية والاجتماعية في النظرة الغربية الوافدة:

حتى تتبين المنطلقات الأساسية للعلوم التربوية والاجتماعية في النظرة الغربية الوافدة، لا بد من الإحاطة الموجزة بالأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء هذه المنطلقات ومن مسبباتها.

فالدول الأوروبية تدين بالمسيحية التي بدأت أول عهدها بحدوها الإخلاص الصريح، و الولاء الذي اتصف به بطرس وبولس، ثم نمت فأصبحت نظاماً جليلاً، يعمل على تهذيب الأسرة والمدرسة والمجتمع والعالم بأسره، وينشر حُسن النظام وكريم الأخلاق، أما الآن فقد أخذت تنحط حتى لم يعد لها هم إلا المحافظة على مصالحها المكتسبة، و كل ما تُعنى به هو المحافظة على بقائها وأموالها" [٦] ثم في العصور الوسطى المسيحية ورثت الدول الأوروبية حضارة ضخمة عن اليونانيين والرومان

---

(٤) المرجع السابق ، نفس الجزء و الكتاب ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل من المعروف ، حديث رقم ٥٥- (١٠٠٨) وحديث رقم ٥٦- (١٠٠٩) ، ص٦٩٩ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الجزء والكتاب ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل من المعروف ، حديث رقم ٥٥- (١٠٠٨) وحديث رقم ٥٦- (١٠٠٩) ، ص٦٩٩ .

(٦) ول ديورانت : قصة الحضارة . (ترجمة) الدكتور صلاح يونس ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٦٨م ، الجزء الأول من المجلد السادس (٢٢) الإصلاح الديني ، ص١٨.